خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

يوم ٧- ٣ - ٢٠٠٨

بمسجد بيت الفتوح بلندن

******

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تلاوَته أُولَئكَ يُؤْمنُونَ به وَمَنْ يَكْفُرْ به فَأُولَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٢)

في الخطبة الماضية تناولت موضوع القرآن الكريم وأخبرتكم لماذا يُشَنُّ الهجومُ الشرس علنا على الإسلام في الغرب، ولماذا تُخلق أجواء النفور من الإسلام والاستهزاء به؟ وأخبرتكم أنه قد سبق الوعد من الله تعالى بغلبة الإسلام وحفاظة القرآن الكريم وحمايته. فمما لا شك فيه أن مثل هذه الهجمات المنحطة السخيفة لن تنجح في إلحاق الضرر بالإسلام، وليس بوسعها أن تقلل من حسن هذا الكتاب الكامل وروعته مهما حاول أصحابها لذلك. غير أن هؤلاء الذين يبرزون لشن الهجوم على الإسلام علنًا أو الذين يدعموهم ويساندوهم خفيةً فإن حقدهم وبغضهم الذي يكِنُّونه للإسلام يظهر عيانا. على كل حال فإن أعداء الإسلام هؤلاء يستمرون في عملهم هذا على الدوام ولن يكفوا عن ذلك. فلا داعي للقلق والاضطراب على تصرفاهم المشينة هذه لأنه قد سبق الوعد من الله تعالى بحفظ القرآن الكريم. ولكن ماذا يجب أن تكون ردّة فعلنا عند ظهور مثل هذه التصرفات المنحطة من قِبل أعداء الإسلام؟ وما هي المزايا والصفات التي يجب أن يخلقها المسلم الأحمدي في نفسه - عند صدور هذه التصرفات الطائشة - لكي يتمكن من الردّ على هجمات أعداء الإسلام والدفاع عنه، ولكي يصبح جنديا في جيش إمام الزمان الذي بايعه حتى يتوارث تلك الأفضال والنعم التي خصصها وقدَّرها الله للذين ينفّذون في حياهم التعليم الرائع للقرآن الكريم. وأحدثكم عما يريده الله

منا في هذا الصدد. وماذا قال رسوله المصطفى ﷺ في وصف هذا التعليم الجميل؟ وماذا كان محبه الصادق يتوقع منا بعد بيانه وتفسيره لهذا التعليم السامي؟! لكنني قبل ذلك أريد أن أحدثكم عن كتاب اطلعت عليه مؤخرا، واسمه: (Women Embracing Islam) "النساء يعتنقن الإسلام" ويتناول الكتاب وفق وجهة نظر المؤلفين الأسبابَ التي تدفعهن إلى ذلك. وهذا الكتاب في الحقيقة ليس تأليفا لمؤلف واحد بل هو مجموعة مقالات جمعتها كارين فان نيوكيرك (Karin Van Nieuwkerk) ونشرتها في صورة كتاب. وفي الحقيقة فإن هذه المجموعة تضم مقالات وأبحاث قرئت في مؤتمر عُقِد في جامعة مدينة نايميخن (Nijmegen) الهولندية في عام ٢٠٠٣م، ثم نشرتها هذه السيدةُ بعد تحريرها في ٢٠٠٦ حيث صدرت من جامعة تكساس الأمريكية. إن هذا الكتاب كما قلتُ يضم آراء مختلفة. يبدأ الكتاب من أنه منذ بضعة عقود ماضية لوحظ اهتمام الناس في الدين. ثم ورد فيه أنه بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م بدأ الناس يهتمون بالإسلام ويرغبون فيه بشكل ملموس. ثم يقول: إن هذا انطباع المسيحيين الغربيين المعادين للإسلام بشكل عام هو أن الناس بدأوا يميلون إلى الإسلام. كذلك هو انطباع أولئك الذين لا يؤمنون بالله. ثم تقول: سواء أخطرتْ هذه الفكرة على بالِ معتنقي الإسلام أم لا لكن ما يُفهم من هذه الظاهرة بشكل عام هو أن أسبابها سياسية أكثر منها دينية؛

أي أسباب ميل الناس إلى الإسلام واعتناقهم إيَّاه تعود إلى السياسة أكثر منها إلى الدين. على كل حال هذا رأيهم، غير أنه من البيِّن أنهم حين ينسبون هذه الميول إلى الأسباب السياسية فسوف تنشط لسدّها القوى السياسيةُ باسم الدين والقوى الدينيةُ باسم السياسة. كما أن هنالك أمرا مثيرا للاهتمام قد ورد في الكتاب وهو أن أول داعية إسلامي وصل إلى أمريكا كان ينتمي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية. ثم يقول الكتاب إن هذا المبشر الإسلامي قد جاء إلى أمريكا كردة فعل - في الحقيقة - ضد حملة التنصير في الهند. أو كان يستهدف مواجهة الهجوم الذي كان المبشرون المسيحيون يشنونه في الهند من خلال حملة التنصير. كذلك فقد نحت الكاتب من عنده أمرا آخر وهو أن هدف المبشر الإسلامي الأحمدي الحقيقي كان خلقَ الجوّ الملائم للمسلمين المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولنيل هذا الهدف حاول الأحمديون ضمَّ الأمريكان البيض إلى الإسلام، لكنهم استطاعوا ضمَّ عدد قليل منهم فقط على حسب قولهم. ثم يقول الكاتب: لكن المسلمين - الذين كان الأحمديون يريدون إسكانهم في الولايات المتحدة الأميريكية لكي يزداد عددهم هناك - قد رفضوا أفكار الأحمديين وأخرجوهم من حظيرة الإسلام. وأخيرا فكَّر الأحمديون أن جهودهم لن تثمر إلا إذا قاموا بحملة التبشير في الأمريكان الأفارقة، فأخبروهم بأن لهم هويَّةً لا تتحقق إلا باعتناق الإسلام. بالإضافة إلى

القول بأن أصولكم وجذوركم هي إسلامية في الحقيقة، وأن المسيحيين قد نصّروكم عنوة، وليس ذلك فحسب بل اضطهدوكم أيضا. وإذا كنتم تريدون أن تنالوا حقوقا متساوية فلن تجدوها إلا في الإسلام. وظن الأحمديون (على حسب قول الكاتب) أنه بهذه الطريقة يمكن أن يشكِّل الأمريكان الأفارقة، والمسلمون منهم خاصة قوةً ملحوظة. هذا ما أشاعه الأحمديون هناك، واستفادت الجماعات الإسلامية الأخرى من أسلوب الأحمديين هذا. وهكذا انتشر الإسلام ولا يزال ينتشر بسرعة هائلة في الأمريكان الأفارقة.

أما الطبقة الأخرى التي تُقبل على الإسلام وتعتنقه فهي السيدات من الأمريكان البيض. فباختصار يتبين جليا من تقديمهم المعلومات الزائفة عن الجماعة الإسلامية الأحمدية أنهم لا يريدون الاعتراف بالحقائق صراحة، لأنه كما ورد في هذا الكتاب، يظهر جليا أن بحوزتهم معلومات دقيقة عن الجماعة الإسلامية الأحمدية لكنهم لم يوردوها بصورة صحيحة. ثم في الكتاب نفسه أوردوا مقابلةً مع سيدة بيضاء أسلمتْ حديثا، قالت فيها ردًّا على السؤال عما جذبها إلى الإسلام: إن الإنسان حين ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله يصبح مطهَّرا من الذنوب كيوم ولدته أمه. إضافة إلى ذلك هناك تصور للدخول في الجنة لأنه باعتناق الإسلام تُغفَر الذنوب السابقة. فهذه الأمور بأن الإنسان يتطهر إثر نطقه

بشهادتين وتُغفر ذنوبه، لا تسوغها الطبقة المعادية للإسلام في حال من الأحوال، ولا سيما في الغرب. ويتبين من ذلك أنه قد بدأ السؤال ينشأ لدى شريحة من الناس أن عقيدة الفداء خاطئة. ومن الطبيعي أن ينشأ مثل هذا التساؤل لدى الذين يقلقون تجاه ذنوبهم ويفكرون في التخلص منها، لأنه لا بد أن يواجه جزاء أعماله في الآخرة ثوابا أو عقابا. وهذا يفنِّد ويخالف عقيدة أساسية للمسيحية، الأمر الذي لا يمكن أن يتحمَّلوه في أي حال.

فباختصار فإن هذه الهجمات تُشن ضد الإسلام وفق خطة مدروسة. وقد حدثْـــتُكم عنها بشكل موجز على سبيل المثال فقط. ولكن بما أن هذا الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث ومقالات متنوعة مختلفة لذا نجد في بعض المواضع منه ذكر بعض المزايا الجيدة أيضا للإسلام.

على أية حال، أيا كان الأمر، عندما ستظهر مثل هذه النتائج المتتابعة التي توجِّه أنظار الناس إلى الإسلام فمن الطبيعي أن تتوحد القوى المعادية للإسلام على منبر واحد لتكثيف جهودها بشكل منظم. وها قد توحدت الآن.

والآن أعود إلى الموضوع الأصلي، فكما قلت في البداية ماذا يجب أن يكون سلوك المسلم الأحمدي في مثل هذه الظروف؟ أولاً وقبل كل شيء حينما يبايع الأحمدي فإنه يعقد عهدا بأنه يبايع إمام الزمان لإحداث تغير

روحاني طيب في نفسه، فلا بد أن يلتفت تلقائيا إلى أنه من الواجب عليه أن يقوي علاقته بالله. وهذا لا يتحقق إلا أن يصبح عبدا كاملا وحقيقيا لله، كما لا يتحقق إلا برفع مستويات عبادته.

ثانيا يجب أن ينتبه إلى التعليم الذي أنزله الله في صورة القرآن الكريم ويهتم به اهتماما لائقا. وفي هذا الصدد قال الله تعالى: اُتلوا كتابي حق تلاوته. كما يتبين من الآية التي تلوها عليكم قبل قليل حيث يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٢).

فما هو حق التلاوة يا تُرى؟ هو أنكم حين تقرأون القرآن فيجب أن تتدبروا في أوامره ونواهيه فتلتزموا بما أُمِرتم به وتنتهوا عما نُهيتم عنه. كان اليهود والنصارى في زمن النبي ﷺ يدّعون أن عندهم كتابا أيضا، وأرادوا أن يقبل المسلمون دعواهم تلك. ففنّد الله قول اليهود قائلا إن كتابكم لم يعد صالحا لكي يعتبر صحيحا لأن أعمالكم تتنافى مع ما ورد فيه، ولأنكم تبدون منه أمورا وتخفون أخرى. فكتابكم لم يعد قادرا على الهداية، بل بعد بعثة رسول الله ﷺ، وبعد نزول هذه الشريعة الغراء، أصبح القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد القادر على هداية الناس. فالقرآن الكريم هو الذي سيقيم الهداية الآن في العالم. لقد أثبت ذلك الصحابةُ رضي الله عنهم، إذ كانت حياتهم تشكِّل برهانا حقيقيا على أنهم المؤمنون

الذين أدوا حق تلاوة هذا الكتاب. فهم الذين لُقِّبوا بالمؤمنين لأن الله ربط الإيمان بالأعمال الصالحة. فالمؤمنون الحقيقيون هم الذين يعملون الصالحات وهم الذين يؤدون حق تلاوة الكتاب. ففي هذه الآية إنذار للمسلمين في هذا العصر أنه إذا كنتم تتلون الكتاب ولا تعملون بحسب أوامر الله تعالى الواردة فيه، فإن إيمانكم ليس كاملا.

وقد حذّر الرسول ﷺ عن أحوال وظروف واقعة في زمن ظهور المسيح الموعود وهي ظاهرة للعيان ويعرفها الجميع لكونها مذكورة في الأحاديث. فكان من المقدر أن ينــــزل المسيح الموعود في تلك الظروف. إذًا فالذين ينضمون إلى جماعة المسيح الموعود في ذلك العصر ويعملون بحسب أوامر القرآن الكريم هم الذين يُعتبرون من الذين يؤدون حق التلاوة. فمن مسؤولية كل أحمدي أن يحاسب نفسه ليرى إلى أي مدى يحاول العمل بتلك الأحكام التي أنزلها الله تعالى لنا في القرآن الكريم.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن الناس يتلون القرآن الكريم ولكن كالببغاء دون أن يتدبروه. وكما أن الBANDيت الهندوسي يقرأ كتابه بسرعة دون أن يفهم هو أو المستمعون منه شيئًا، أصبح الناس يتلون القرآن الآن هكذا، حيث يقرأون ثلاثةَ أجزاء أو أربعة منه ولا يدرون ماذا قرأوا. غاية ما يهتمون به هو القراءة بصوت جميل وإتقان النطق بحرف القاف والعين. لا شك أن تلاوة القرآن بشكل

صحيح وبصوت حسنٍ أمرٌ محمود، ولكن الهدف الحقيقي من تلاوته هو أن يطّلع المرء على معارفه ويُحدِث تغييرًا طيبًا في نفسه. تَذكّروا أن في القرآن الكريم فلسفة حقة رائعة محيرة، وفيه نظام لا يتنبهون له. لا تتحقق أهداف تلاوة القرآن الكريم بدون مراعاة هذا النظام والترتيب الموجودَين فيه. (جريدة "الحَكَم"، مجلد ٥ عدد ١٢ يوم ٣١ مارس ١٩٠١ ص ٣)

فهذا هو حق التلاوة الذي فسره سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. وقد شعر الخليفة الرابع للمسيح الموعود عليه السلام في بداية عهد خلافته أن بعض أفراد الجماعة لا يقرأون القرآن الكريم بصورة صحيحة فلفت انتباههم إلى أن يقرؤوه بصورة صحيحة لأن بعضهم كانوا يخطئون في حركات بعض الكلمات. ومن المعلوم أن المعاني تتغير بتغير الحركات ولا يتضح المدلول. فنبَّه حضرتُه أبناء الجماعة إلى أن يقرأوا القرآن بصورة صحيحة. فبفضل الله تعالى اهتم الأحمديون بهذا الأمر اهتماما ملموسا. أما الآن فهناك حاجة للاهتمام بتعلّم ترجمة معاني القرآن. لذلك يجب أن تنتبه المنظماتُ الفرعيةُ في الجماعة لهذا الأمر، كذلك يجب أن ينشط نظام الجماعة أيضا بهذا الصدد. وهنا في المملكة المتحدة قد بدأ مجلس أنصار الله بفضل الله تعالى دروس تعليم معاني القرآن الكريم عبر الانترنت، ويجب أن يُستفاد منها حق الاستفادة لأنكم بعد تعلُّمكم ترجمة معاني القرآن فقط تستطيعون الاطلاع على الأحكام الواردة فيه. وكما قال سيدنا المسيح

الموعود عليه السلام إنكم بعد تعلُّم معاني القرآن ستعتادون التدبر فيه وستنتبهون إلى العمل به، وهذا هو حق التلاوة في الحقيقة.

سأل سائل سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام: كيف تجب تلاوة القرآن الكريم؟ فقال في الجواب:

"اُتلوا القرآن الكريم بالتدبر والتفكر وإمعان النظر. ورد في الحديث الشريف: "رُبَّ قارئ يلعنه القرآن".. أي هناك كثير ممن يقرؤون القرآن ولكن القرآن يلعنهم. إن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به هو الذي يلعنه القرآن. فإذا مرّ المرء أثناء تلاوة القرآن بآية رحمة فعليه أن يسأل الله من رحمته، وإذا مرّ بآية تذكر نزول عذاب على قوم فعليه أن يستعيذ بالله من عذابه. وينبغي تلاوة القرآن بالتدبر والإمعان، كما يجب العمل به. (ملفوظات مجلد ٥ ص ١٥٧ طبعة ربوة)

فهذا هو الأسلوب الذي علّمنا إياه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لتلاوة القرآن الكريم. وكما قلتُ من قبل إنه لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان الإنسان يعرف ترجمة معاني القرآن. هناك كثير من الناس الذين يتلون القرآن الكريم بصوت حسن وجميل يسر القلوب، ولكن الصوت الحسن وحده لا يفيد القارئ ما لم يفهم محتوى كلام الله تعالى. فلا تفيد التلاوة بصوت جميل إفادة حقيقية إلا الذي يسمعها ويفهم معاني القرآن أيضا، والذي عندما يسمع النبوءات الواردة في القرآن الكريم ثم يرى تحققها في زمنه فيشكر الله تعالى على أنه وفقه لمشاهدة تحققها بأم عينيه.

ثم يكون شكر الأحمدي لله أكبر من ذلك على أن الله تعالى وفّقه للإيمان بالمهدي والمسيح الذي تنبأ رسولُ الله ﷺ بمجيئه، والذي في زمنه تحققت كل هذه النبواءت القرآنية. ثم هناك اكتشافات علمية حديثة توافق القرآن الكريم والتي بالنظر إليها يفيض القلب بحمد الله تعالى، إذ إن الله تعالى قد أخبرنا بهذه الأمور قبل ١٤ قرنا.

كذلك إن المؤمنين الذين يعرفون معاني القرآن ويخشون الله تعالى، حين يقرؤون أحوال الأمم السابقة الذين كفروا بأنبيائهم، وبالتالي كيف عاقبهم الله تعالى على أعمالهم، فلا بد أنهم يستغفرون الله تعالى، ويحمدونه على أنه قد وقاهم من هذه الحالة ويدعونه ﷻ أن ينقذهم منها في المستقبل أيضا. ونحن أيضا نحمد الله تعالى أنه قد نجانا من هذا المصير وندعوه ﷻ أن ينقذنا منه في المستقبل أيضا.

فبقدر ما فهم الإنسان وأدرك معاني القرآن الكريم بقدرما ازداد إيمانا ويقينا بكتاب الله الكامل. وبهذه الطريقة يمكن للإنسان أن يؤدي حق تلاوة القرآن الكريم. ولنر الآن ماذا نصح النبي ﷺ في هذا الصدد. فقد ورد في رواية: عن عبيدة المليكي رضي الله عنه وكانت له صُحبةٌ قال، قال رسول الله ﷺ: "يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار، وافشُوه وتَغَنُّوه وتدبّروا ما فيه لعلكم تفلحون." (مشكاة المصابيح كتاب فضائل القرآن رقم الحديث ٢٢١٠، رواه البيهقي في شعب الإيمان)

فتبين من ذلك أنكم بأداء حق التلاوة لا تتجنبون الخسران فقط بل ستكونون من الذين ينالون الفلاح أيضا كما ورد في نهاية هذا الحديث.

وفي رواية أخرى ورد ذكرُ الذي يؤدي حق التلاوة، بل ذكرُ والديه أيضا اللذَين عوّدا طفلهما على التلاوة. فقد جاء في الحديث: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا. (سنن أبي داود، كتاب الوتر باب ثواب قراءة القرآن)

فعلى الوالدين أن ينتبهوا إلى هذا الأمر جيدا ويعرفوا أن هذه هي الدرجة التي ينالونها لقاء تعليم أولادِهم القرآنَ الكريم. لذا عليهم أن ينتبهوا إلى تعليم أولادهم القرآن ويخلقوا فيهم رغبة لتعلُّمه.

وجاء في رواية أخرى، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السَفَرَة الكِرامِ البَرَرَةِ. ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران". (صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس)

وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء. قيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ قال كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن". (مشكاة المصابيح، كتاب فضائل القرآن)

فإن ذكرَ الموت لا يترك المؤمنَ بيوم الدين غافلا عن ذكر الله. ولو قام الإنسان بتلاوة القرآن الكريم كما هو حقها، لنال التوفيق للحسنات الأخرى أيضا. وبأداء هذا الحق ينال المؤمن جزاء حسنا في هذه الدنيا، وله في الآخرة أيضا أجر عظيم. كما يظل المؤمن متوجها إلى أداء حقوق الله وحقوق العباد بقلب نقي.

كيف كان النبي ﷺ يتلو القرآن الكريم؟ لا بد من إيضاح هذا الأمر أيضا لأن بعض الناس يرون الفضل في قراءته سريعا بينما كان أسلوب النبي ﷺ مختلفا عن ذلك تماما. فقد ورد في رواية عن قتادة قال: سألتُ أَنَسًا عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا. (سنن أبي داؤد، جماع فضائل القرآن، باب استحباب الترتيل في القراءة)

وقد قال النبي ﷺ إن للقرآن بطونا. أي إن كلماته تحتوي على كثير من لآلئ الحكمة بحيث إن المتدبر في هذا التعليم يجد جمالا جديدا كل مرة. والمعلوم أنه ليس في الدنيا شخص يكون قد أدرك عمق المعاني لكلمات القرآن الكريم أكثر من النبي ﷺ. فعندما كان النبي ﷺ يقرأ القرآن الكريم بالترتيل كان يصل إلى ذروة مطالبها ومعانيها ومعارفها. إذًا، فإن أسوة النبي ﷺ في هذا الصدد تلفت أنظارنا إلى أن نقرأ القرآن بتدبر وتأن وتأمل. وإلى هذا التدبر والتأمل وجّه النبي ﷺ أحد أصحابه. فقد ورد في رواية عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "اِقرأ القرآن في

شهر. قلت: إني أجد قوة، حتى قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك."
(صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب في كَمْ يقرأ القرآن)

فمعنى ذلك أنه ليس مناسبا أن يختم المرء القرآن في أقل من أسبوع وإن كان قادرا على ذلك، لأنه لن يستطيع حينها التدبر فيه والتأمل؛ إذ ليس الهدف من التلاوة أن يسرع الإنسانُ بقراءة كلمات القرآن.

وتبين الرواية السالفة مدى رغبة الصحابة في تلاوة القرآن وأهميتها عندهم. وتزداد أهمية القرآن وتلاوته أكثر من ذي قبل مع تقدم الزمان بسبب حدوث تغير كبير في الظروف والمعايير.

يقول سيدنا الإمام المهدي عليه السلام:

لقد تدبرت في لفظ "القرآن" فانكشف عليّ أن في هذا اللفظ المبارك نبأً عظيمًا، وهو أن القرآن هو الكتاب الجدير بالقراءة، وسيصبح أجدر بالقراءة في الزمن الذي تُجعل كتب أخرى شريكة معه في القراءة، وعندها، وذودًا عن شرف الإسلام واستئصالاً للباطل، سيكون هذا الكتاب وحده جديرًا بالقراءة، بينما تكون الكتب الأخرى كلها أَولى بالترك نهائيًا. (جريدة "الحَكَم" مجلد ٤ عدد ٣٧ يوم ١٧ أكتوبر/ ١٩٠٠ ص ٥)

فهذه نقطة هامة يجب أن يتذكرها كل أحمدي، أنه يمكن لنا أن نُفحِم المعارضين بواسطة قراءة هذا الكتاب العظيم وحده. وهذا هو معنى حماية شرف الإسلام وعِرضه. ولكن هل يكفي قراءة القرآن الكريم فقط؟ إن

كلام سيدنا المسيح الموعود واضح جدا في هذا الصدد حيث يقول عليه السلام: "ذودًا عن شرف الإسلام واستئصالاً للباطل"، والمراد من ذلك أن في القرآن الكريم حججا وبراهين تكفل إقامة شرف الإسلام، وبذلك سوف يتم استئصال أصول الافتراءات التي يفتريها المعارضون على الإسلام. وهذا هو المبدأ الذي بواسطته يمكن الذود عن شرف الإسلام. ولسوف يُقطع دابر الكذب حين يكون طابع هذا التعليم مشهودا في كل عمل من أعمالنا. وهذا الطابع إنما يلاحَظ حين نقوم بتلاوة القرآن الكريم بالتزام وتدبر فيه ونعمل بأوامره أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

" إن النجاح بدون القرآن مستحيل البتة، ومثل هذا الفوز مجردُ وهمٍ يبحث الناس عنه عبثًا. فكروا في أسوة الصحابة، فإنهم لما اتبعوا رسول الله ﷺ وآثروا الدين على الدنيا تحقق كلُّ ما وعدهم الله به. في البداية كان المعارضون يضحكون عليهم بأنهم يدعّون بأنهم سينالون المُلك مع أنهم لا يقدرون على أن يسيروا في الطرقات بحرية، ولكنهم قد نالوا بالتفاني في طاعة رسول الله ﷺ ما لم ينالوه في قرون." (ملفوظات، مجلد ١ ص ٤٠٩ طبعة ربوة)

إذن، فكيف كانت طاعتهم للنبي ﷺ؟ كانت تلك الطاعة تتمثل في محاولتهم للعمل بالتعليم النازل على النبي ﷺ. ثم شاهدت الدنيا - كما قال المسيح الموعود عليه السلام - أنهم في البداية كانوا غير قادرين على أن

يمشوا في تلك المدينة بحُرية، بل أتى عليهم زمان حين أُخرِجوا منها أيضا. ثم بسبب طاعتهم وعملهم بذلك التعليم دخلوا المدينة نفسها منتصرين فاتحين.

لذا يجب أن تتذكروا دائما أن انتصاراتنا اليوم أيضا مرتبطة - بإذن الله - بالعمل بهذا التعليم. كذلك فقد نصح النبي ﷺ أن تكون التلاوة بصوت حسن. فقد ورد في رواية عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "حسِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا."

(مشكاة المصابيح كتاب الفضائل القرآن رقم الحديث: ٢٢٠٨)

يقول الإمام المهدي عليه السلام في هذا الصدد:

" يجب تلاوة القرآن الكريم بصوت جميل، بل قد أُمرنا بذلك حيث ورد (في الحديث) أنه من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا. والحق أن في الصوت الحسن تأثيرًا. إن الخطاب الجميل إذا أُلقي بأسلوب جميل كان له أثر، ولكن نفس الخطاب لو ألقي بأسلوب رديء مملّل فقَدَ التأثير. والشيء الذي قد جعل الله فيه تأثيرًا ما الحرج في أن نجعله أداة لجلب الناس إلى الإسلام؟ إن مزامير داود عليه السلام التي ورد عنها أنه حين كان يناجي بها الله تعالى كانت الجبال تبكي معه والطير تسبح معه لم تكن إلا أناشيد."

(ملفوظات مجلد ٤ ص ٥٢٤ طبعة ربوة)

إذن فإن الهدف من وراء التغني والصوت الحسن أيضا - كما بين المسيح الموعود عليه السلام - إنما هو تبليغ الإسلام. فالذين يتأثرون بالصوت الحسن

يجب أن يتأثروا بالصوت الحسن أولا ثم يجب أن يُخبَروا بالمغزى الحقيقي للتعليم. الكتاب الذي أشرت إليه في البداية ورد فيه أن معظم النسوة اللواتي اعتنقن الإسلام ذكرن سبب قبولهن الإسلامَ بأهن سمعنَ عنه أولا، ثم إذا تدبَّرن في تعليمه أُعجبنَ به. وهذا ما يدعي به القرآن الكريم أيضا ويقول إن تعليمه صادق ومنسجم مع الفطرة تماما، وإن سبل الهداية توجد في القرآن الكريم وحده، كما يقول الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ١٠)

إذًا، فإن هذا الإعلان موجَّه إلى المسلمين وغير المسلمين أيضا. وإن هدي القرآن الكريم وأهدافه سامية جدا. وإن هذا الهدي والشريعة أبديان. في حين كانت الشرائع السابقة لزمان محدد ومكان محدد، ولم تكن كاملة كما لم تكن منسجمة مع فطرة الإنسان. إذًا، فإن قبولَ أصحابِ الفطرة السعيدة هديَ القرآن دليل قاطع في حد ذاته على مصداقية إعلان الله تعالى. فهذه هي الرسالة التي علينا أن نوصلها إلى الجميع أنه إذا كنتم تبغون نيل بركات روحانية ومادية في المستقبل فإنما تحظون بها بالعمل بتعليم القرآن الكريم وحده. ثم هناك بشرى للمؤمنين أيضا أنه مادامت أعمالكم حسنة، وحاولتم الوصول إلى أهداف سامية فإن الإنعامات عليكم سوف تزداد بشكل مستمر وتكون من الدرجة العليا أيضا. فكما

قلتُ في البداية إن تأدية حق تلاوة القرآن الكريم مرتبطة بأعمال المؤمنين الحسنة، لذا فإن الحفاظ على الأعمال الحسنة مسؤولية جدٌّ كبيرة أُلقِيت على المسلم. ولم تُلقَ هذه المسؤولية على كل مسلم فيما يتعلق بشخصه هو فقط بل جُعل كل مسلم مسؤولا عن إطلاع أجياله القادمة أيضا على إنعاماتها وبركاتها العظيمة. يجب ألا يكون المسلمون معتزين فقط بأنهم قد أُعطُوا كتابا هو أعلى منـــزلة من جميع الشرائع السابقة، بل عليهم أن يفكروا دائما لتنفيذ تعليمه في أنفسهم، وبتنفيذهم هذا التعليم في نفوسهم سينالون تلك البركات. لذا يجب أن يحاولوا لترسيخ هذا التعليم وكذلك اعتياد تلاوة القرآن كما هو حقها في أجيالهم أيضا. ولو لم يفهم الأحمديون هذه النقطة الهامة بل ظلوا معتزين بأنهم يؤمنون بالقرآن الكريم، فليعلموا أن القرآن - كما وضَّحتُ من خلال كلام المسيح الموعود عليه السلام - في هذه الحالة يلعن قارئيه والمؤمنين به من أمثال هؤلاء. فالأهم - بغية تجنُّب عذاب الله - هو القيامُ بالأعمال الصالحةِ، والعملُ بتعليم القرآن الكريم. وإذا فعلنا ذلك فسوف نهتدي بأنفسنا أيضا إلى سبل الهداية وسنهدي إليها الآخرين أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

" إن هذا القرآن يهدي إلى الصراط المستقيم الذي لا عوج له، ويتوافق مع الفطرة الإنسانية توافقا تاما. ومن أعظم مزايا القرآن الكريم أنه كمثل

دائرة كاملة يحيط بجميع قوى بني آدم. والصراط المستقيم المذكور في الآية السالفة الذكر هو الصراط الأقرب إلى فطرة الإنسان. والمراد من ذلك أن يُهدَى الإنسانُ إلى جميع تلك الكمالات التي خلق من أجل الوصول إليها، ولكي يتسنّى له السلوك في السبل التي من أجلها أُودِعتْ القوةُ في فطرته. وهذا الصراط المستقيم هو المقصود في لفظ "أقوم" الوارد في آية ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية ج ٧ ص ٥٣-٥٤)

ثم يقول عليه السلام:

"لم يأت القرآن الكريم بشريعة جديدة بل جاء تذكيرا بالشريعة الكامنة في فطرة الإنسان بصورة قوى وغرائز، منها الحِلْم، والإيثار، والشجاعة، والصبر، والغضب، والقناعة، وغيرها. فالقرآن جاء ليذكّر الإنسان بالفطرة الكامنة فيه كما قال تعالى: ﴿في كتاب مكنون﴾ أي إن ذلك الكتاب أو الشريعة كانت كامنة في فطرة الإنسان، ولكن لم يكن بوسع الجميع أن يروه. كذلك وُصف هذا الكتاب أنه "الذكر"، وذلك ليُذكّر الإنسان عند قراءته بالقوى الباطنية والروحانية ونور القلب الذي ليس إلا هبة سماوية أُودِعت في فطرة الإنسان. فإن الله تعالى - بإنزاله القرآن الكريم - قد أرى معجزة روحانية ليكتشف الإنسانُ تلك المعارف والحقائق والخوارق الروحانية التي لم يعلمها من قبل." (التقرير حول الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م ص ٩٤)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام بصدد قراءة القرآن الكريم بالتدبر والعمل به:

"من نقَض أصغرَ وصيّة من السبعمائة من وصايا القرآن فإنه يسدّ بيديه باب النجاة على نفسه. إن القرآن هو الذي فتَح سبل النجاة الحقة الكاملة، وليس ما سواه من الصحف إلا أظلاله. فاقرأوا القرآن بالتدبر، وأحِبّوه حُبًّا جُمًّا.. حبًّا لا تكنّونه لأحد. فإن "الخير كله في القرآن"، كما أخبرني الله تعالى، وهذا هو الحق. فيا حسرة على الذين يقدّمون عليه سواه. إنّ ينبوع فلاحكم ونجاتكم كله في القرآن، وما من حاجة من حاجات دينكم إلا وتوجد فيه. إن القرآن سيكون مصدِّقًا أو مكذِّبًا لإيمانكم يوم القيامة. ليس تحت أديم السماء كتاب قادر على أن يهديكم بدون واسطة القرآن.

لقد منّ الله عليكم منّة عظيمة إذ أعطاكم كتاباً كالقرآن. الحق والحق أقول: إنّ هذا الكتاب الذي قُرأ عليكم لو قُرأ على النصارى لما هلكوا، وإن هذه النعمة والهداية التي أوتيتموها لو أُوتيها اليهود مكانَ التوراة لما كفرتْ فِرقٌ منهم بيوم القيامة. فاقدِروا هذه النعمة التي أُوتيتموها، فإنها نعمة رائعة وثروة عظيمة! لو لم يأتِ القرآن لكانت الدنيا كلها كمُضْغةٍ مُنتِنة. إن القرآن لكتاب تتضاءل أمامه الهدايات كلها." (سفينة نوح، الخزائن الروحانية ج ١٩ ص ٢٦-٢٧)

فهذا ما يتوقعه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام من كل أحمدي. إن سعينا للعمل بتعاليم القرآن الكريم هو الذي سوف يهدينا إلى سبل النجاة. فعلى كل واحد منا أن يسعى جاهدا لذلك بلوعةٍ وحُرقة. فإذا كنا ندّعي أننا نبحث عن سبل التقوى، ولهذا الغرض آمنَّا بالمسيح الموعود عليه السلام فإن التقوى سوف تُنال بالسلوك في مسالك سلكها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا كنا ندّعي أننا سوف نُحدث في الدنيا تغييرا طيبا إثر إيماننا بإمام الزمان وسنحدث انقلابا، فلا بد أن نحدث هذا الانقلاب في نفوسنا وفي ذرياتنا أولا. ولا بد أن نُطلع مجتمعنا على هذا التعليم النيّر. ولا بد من إفحام - بواسطة هذا التعليم والعمل به - أولئك الذين يعترضون على الإسلام، والذين هم قلقون تجاه ميل الناس إلى الإسلام، الأمر الذي حدا ببعض بلاد العالم إلى بذل مبالغ جسيمة لبحث الأمر واستقصائه والتحقيق فيه. وإذا كان أحد يظن أنهم يفعلون ذلك بحثا عن ميزات الإسلام، ويريدون أن يطلعوا على ميزات الإسلام ليروا جمال الإسلام، فظنه هذا خاطئ. إن هذه البحوث تجري لتنبيه المعارضين وتنشيط القوى المعادية للإسلام لكيلا يعتبروا هذه الظاهرة أمرا عاديا بل عليهم أن يفعلوا كل ما يقدرون فعله، ويقوموا بالهجمات سرا وعلنا. ويخطِّطوا لهذا الغرض بقدر ما يستطيعون لأن الفرصة ما زالت سانحة أمامهم و لم يخرج الأمر من أيديهم. فمن واجب جميع الأحمديين اليوم أن

يؤدوا حق تلاوة القرآن الكريم. وبالتالي يُنقذوا أنفسهم ويُنقذوا الدنيا أيضا. إن الذين اعتنقوا الإسلام ولكنهم لم ينضموا إلى الأحمدية بعد، فإن كثيرا منهم أثناء بحثهم عن الصدق والإسلامِ الحقِّ سيلجأون إلى أحضان الجماعة الإسلامية الأحمدية في نهاية المطاف بإذن الله. ولهذا الغرض يجب على كل أحمدي أن يعِدَّ نفسه.

اليوم حين نرى القوى المعادية للإسلام عاقدة العزم على استخدام كل الوسائل والأساليب المنحطة ضده، وقد أثارت زوبعة من التعسف والخبث، يجب علينا أن نقرأ هذا الكلام الإلهي أكثر من ذي قبل، ونفهمه ونتدبر فيه ونتعمق أكثر من ذي قبل، وأن نخضع أمام الربِّ، مَنزِّل هذا الكلام أكثر فأكثر، لننال البركات الكامنة فيه. وفقنا الله تعالى جميعا لذلك. آمين.

******